مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٥: ١–٧)

يا إخوةُ يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل وَهَن الضُّعفاء ولا نُرضِي أنفسَنا* فليُرضِ كلُّ واحدٍ منّا قريبَه للخير لأجلِ البُنيان* فإنَّ المسيحَ لم يُرضِ نفسَه ولكن كما كُتب تعييراتُ معيّريكَ وقعت عليَّ* لأنَّ كلَّ ما كُتب من قبلُ إنَّما كُتب لتعليمنا ليكونَ لنا الرجاءُ بالصبرِ وبتعزيةِ الكُتب* وليُعطِكم إلهُ الصبرِ والتعزيةِ أن تكونوا متَّفقي الآراء فيما بينكم بحسَبِ المسيحِ يسوع* حتى إنَّكم بنفسٍ واحدةٍ وفمٍ واحدٍ تمجِّدون اللهَ أبا ربِّنا يسوعَ المسيح* من أجلِ ذلك فليتَّخذْ بعضُكم بعضاً كما اتَّخذكم المسيحُ لمجدِ الله.

تفاخر المؤمن

الفخر، المجد، التفاخر والترف. هي أربعة صفاتٍ أضحت من ركائز الحياة الإجتماعيّة المعاصرة. في الماضي كانت المجتمعات قبليّة يلتفّ أبناؤها حول بعضهم البعض متآزرين محافظين على وحدة الجماعة وحاملين إيّاها.

في الماضي كان أبناء القبيلة الواحدة يفتخرون برقصةٍ تجمعهم وشعائر وعادات وتقاليد وطقوس تدلّ على هويّتهم وانتمائهم إلى تلك الجماعة. في هذه الأيام الحاضرة، طغى الطابع الفردي على العلاقات البشرية وأخذ الطابع الجماعي يتراجع. لم يعد الفخر مرتبطاً بما يوحّد الجماعة. أصبح الإنسان يفخر بنفسه، بأمواله وثيابه وإسرافه في البذخ. من ناحيةٍ أخرى أخذ البشر يخبّئون ما قد يعتبر ضعفاً أو عيباً. أتت عمليّات التجميل لتزيد من هذا التفاخر وأتاحت للبشر التحوّل إلى ما يعتبرونه أفضل. طبيعيٌّ هذا التبدّل الحاصل مع الإنتقال من القبليّة إلى المدنيّة العصريّة. إلاّ أنّ الإنسان المؤمن يقف وسط هذا التبدّل، لا منذهلاً ولا رافضاً بشكل جذريّ، وإنّما مُحسناً الإختيار في كلّ مسألةٍ على حدة.

للمؤمن مثالٌ يحتذي به كلّ يوم. هو ذاك الرسول الذي، على خلاف التلاميذ الإثني عشر الأمّيين، كان عالماً ومتعمّقاً في الكتب الدينيّة والفلسفة. إنّه بولس الرسول الذي، رغم كلّ العلوم التي اكتسبها قبل الإهتداء، ورغم العدد الكبير من التلاميذ الذين اهتدوا إلى المسيحيّة بتعاليمه، يعترف قائلاً «حاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربّنا» (غلا ٦: ١٤). لا يفخر بولس بالعلم ولا بالمجد الذي أمكن أن يناله في المدن التي بشّرها. يعلّمنا الرسول الإلهي أنّ الفخر لا يكون بالعلم ولا بقوّة الكلام، رغم انه استعمل علمه وكلامه ومنطقه ليبشّر بالكلمة، وإنّما الإفتخار هو بصليب المسيح. والرسول بولس على يقين بأنه إذا كان لديه قوة الكلام والعلم فذلك عطية من الله لكي يساعد البشر في اقترابهم من الرب. وفي رسالته إلى أهل رومية التي تُقرأ في هذا الأحد يشدّد على «ألاّ نرضي أنفسنا» (رو

العدد ٢٠١٢/٣٠

الأحد ٢٢ تموز

تذكار القديسة الحاملة الطيب

المعادلة الرسل مريم المجدلية

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السابع

الإنجيل

(متى ٩: ٢٧–٣٥)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ مجتازٌ تبعه أعميانِ يصيحان ويقولان ارحمنا يا ابنَ داود* فلمَّا دخل البيتَ دنا إليه الأعميانِ فقال لهما يسوعُ هل تؤمنانِ أنّي أقدِرُ أن أفعلَ ذلك. فقالا له نعم يا ربُّ* حينئذٍ لمس أعينَهما قائلاً كإيمانِكما فليكُن لكما. فانفتحت أعينُهما. فانتَهرهما يسوعُ قائلاً أنظُرا لا يعلمْ أحدٌ* فلمَّا خرجا شَهَراه في تلك الأرضِ كلِّها* وبعد خروجِهما قدَّموا إليه أخرَسَ به شيطانٌ* فلمَّا أُخرِجَ الشيطانُ تكلَّمَ الأخرسُ. فتعجَّبَ الجموعُ قائلين لم يَظْهَرْ قطُّ مِثْلُ هذا في إسرائيل* أمَّا الفريسيون فقالوا إنَّه برئيسِ الشياطين يُخرِجُ الشياطينَ* وكان يسوعُ يطوفُ المُدنَ كلَّها والقرى يعلِّمُ في مجامعهم ويكرِزُ ببشارةِ الملكوتِ ويَشْفي كلَّ مَرَضٍ وكلَّ ضُعفٍ في الشعب.

١٥: ١). فعندما يرضي الإنسان نفسه لا ينظر إلى أخيه الضعيف بل يلتفت إلى اصحاب النفوذ والثروات ويسعى في طلب الفانيات. يضيف بولس «فليُرضِ كلُّ واحدٍ منَّا قريبه للخير لأجل البنيان» (رو ١٥: ٢). إذاً ليس الهدف إرضاء الذات الذي قد يؤدّي إلى التفاخر، ولا الهدف إرضاء الآخرين عبر الحياة الفاخرة وتغيير الشكل، وإنّما أن نرضي الآخر من أجل ما هو خيّرٌ عبر التآزر والتضامن. وفي الآية عينها سبق لبولس أن دعا الأقوياء إلى احتمال ضعفات الضعفاء. أي انه يجب على المرء أن يتحمّل زلّات الآخر وضعفاته من أجل خير الجميع.

ليست دعوة الرسول بولس كدعوة بعض الفلاسفة القدماء الذين تصوّروا مدناً وهميّةً مثاليّة، ووضعوا قوانين وترتيباتٍ صعبة التطبيق. إنّما هو متكلّمٌ بما عاشه وخَبرَه على الأرض. كما أشرنا سابقاً فهو لا يرضى أن يفتخر إلاّ بذاك العود الذي ارتفع عليه الربّ الخالق طوعاً بتواضعه، عنيت به عود الصليب. فبولس نفسه يخبرنا في موضعٍ آخر أنّه بعدما حصل على نعمٍ كثيرة وعاين ما لم يعاينه أيّ إنسانٍ، لم يتفاخر ولا حاول الوصول إلى الكمال الجسدي وإنّما أعطي شوكةً في الجسد لئلا يتكبّر (٢ كور ١٢: ٧). واضحٌ أنّ لدى الرسول علّة جسديّة تعيقه، ولكنّه لم يخجل بها محاولاً إخفاءها وإنّما يذكرها للعالم لكي يعلّمنا ألاّ نخجل بما قد نعتبره نقصاً أو ضعفاً. من المؤكّد أنّه لم يكن هناك وجود لطبّ التجميل أو الإمكانيات الطبيّة المتطوّرة التي يملكها العالم اليوم، ولكن كان ممكناً لبولس أن يخفي الأمر لا أن يكتبه للملء. إلاّ أن بولس يريد من المؤمن أن ينكر ذاته غير مفاخر بأيّ أرضيٍّ زائل بل يدعوه إلى الإفتخار بعود الصليب الذي أعطى الحياة الأبديّة للعالم. الصليب يعطي العالم الأمل ويبعث الحياة فيهم. يدعونا بولس إلى الرجاء أيضاً «لأنّ كلّ ما كُتب من قبل إنّما كُتب لتعليمنا ليكون لنا الرجاء بالصبر وبتعزية الكتب» (رو ١٥: ٤).

لا نفتخر بمجدٍ باطل ولا بعشرة المسرفين بل لنفتخر بمحبّة الضعفاء. ولا نستحينّ بما قد يكون شوكةً في الجسد أعطيت لنا لسببٍ ما لتحفظنا من التكبّر. لنقبل بعضنا بعضاً كما أنّ المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله. فإذا كان السيّد لم يخجل بخطايانا بل نظر إلى خليقته أسفل وارتفع على الصليب بمحبّته لينقذنا، فلنقتدِ بتلك المحبّة ونحنِ رؤوسنا تواضعاً أمام الضعفاء فنُرفع إلى المجد الأزلي.

حفل تخريج طلاب مدارس بيروت

مساء الثلاثاء ١٠ تموز أقيم في مدرسة البشارة الأرثوذكسية حفل تخريج مئة وأربعة وتسعين طالباً وطالبة من مدارس ابرشية بيروت الثانوية وخمس طلاب من مدرسة القديس كوارتس الرسول للتنشئة اللاهوتية. للمناسبة كانت لسيادته الكلمة التوجيهية التالية:

أيها الطلاب الأحباء،

تودّعون اليومَ حقبةً من عمركم أمضيتموها في المدرسة تحصّلون العلم وتتتلمذون على أساتذةٍ

تأمل

«ليكون لنا الرجاء بالصبر».

كيف أجد كلماتٍ كي أصف مصائب أيوب التي لا تصدّق؟

حقيقةً، ما هذا البؤس الرهيب! ما هذه المصيبة التي لا تُحتمل! لكن عندما أظهر الله المحبّ البشر لأيّوب سبب مصائبه، قائلاً له: «لم أسمح أن يحدث ما حدث لأيّ سببٍ آخر لكي تسطع فضيلتك» (أي ٤٠: ٨)، عندئذ، هدأ أيوب البار كثيراً وكأنّ لا شيء قد أصابه.

إذاً، لنعلم أنّه كما أنّ الرياضيّ الذي يتبارى في الحلبة يكون مُجبَراً على تحمّل البرد والحرّ، العرق والغبار، الأتعاب والتمارين لكي يحصل على إكليل النصر، هكذا أيضاً الإنسان البار الذي يجاهد في حلبة الفضيلة الذهنية لكي يُكلَّل في الحياة الأخرى، يجب أن يتحمَّل تجارب كثيرة في الحياة الحاضرة. فإن كان الجسد الذي يستطيع أن يحتمل كلّ تعب من دون حزن يستحقّ الإعجاب، فإنّ النفس التي تستطيع، بصبر وشجاعة، أن تحتمل كلّ مصيبة تستحق الإعجاب أكثر، وتحفظ تفكيرها دائماً حاضراً ومستعداً. لذلك لا يكافأ فقط مَن يفعل الخير برغبة بل مَن يحتمل الشرّ بصبر

حاولوا أن يجعلوا من العجينة اللينة التي كنتموها صغاراً، آنيةً جميلةً مزخرفةً ملأى بشتى أنواع الأطياب، لتبدأوا مرحلةً جديدةً ستكون المدخلَ إلى مستقبلكم العملي وحياتكم المنتِجة.

في المدرسة لُقّنتم العلم وتدرّبتم على القيم والفضائل التي جهد معلّموكم لغرسها في نفوسكم والضمائر.

في المدرسة لعبتم ودرستم وتعبتم لكنكم لم تكونوا مسؤولين عن أنفسكم. أهلُكم كانوا يتحمّلون مسؤوليتكم، وأساتذتُكم حملوا أيضاً جزءاً من المسؤولية مع المدرسة.

في الجامعة سوف تكونون أنتم المسؤولين عن أنفسكم. سوف تكافحون للتحصيل العلمي، إنّما أيضاً لبناء الإنسان الذي ستكونونه. سوف يكون عليكم اتخاذُ قراراتٍ عليها يتوقف مستقبلُكم.

في الجامعة التعليمُ مختلفٌ والتلقي مختلف. عقلُكم سيكون له دورٌ أكبر، وشخصيتُكم التي تفتحتْ في المدرسة ستنمو أكثر. حسُ النقد عندكم سيكون أكثرَ فعالية، والرفاقُ سيكونون أكثرَ تأثيراً. لذا حَذارِ عِشرةَ السوء، حَذارِ العاداتِ السيئة والتفلّتَ الأخلاقي واتباعَ الطريق السهل. إحذروا الإسفافَ في الكلام وفي الأعمال. ذوو الخُلُق الرفيع لا يأتون عملاً وضيعاً بل تكون أفعالُهم مرآةً لنفوسهم الكبيرة. لا تدعوا آفاتِ العصر تفتك بكم وبمستقبلكم، بل سخّروا ما يفيدكم منها لخدمة حياتكم ومستقبلكم، وألقوا بعيداً ما قد يسيء إليكم وإلى نفوسكم. أبعِدوا عنكم ما قد يضرّكم أو يؤذي حياتكم، أو علاقتكم بالآخرين.

قيل إن الإنسانَ حيوانٌ إجتماعي. طبعاً نحن نرى الإنسانَ إنساناً رغم الحيوان المختبئ في داخله، المتحفز للظهور في أي وقت. وما شراسةُ البشر إلا مظهراً من مظاهر الحيوانية فيهم. نحن نتمنى أن يبقى الإنسانُ إنساناً يغذي في نفسه كلَّ ثمار الروح التي سكبها اللهُ فيه. لكنني أودُّ أن أشدّد على صفة «إجتماعي» في القول الذي ذكرته. الإنسانُ لا يعيش بمفرده. الإنسانُ يعيش في عائلة، في مجتمع، في وطن، ومن أولى صفاته التواصلُ مع محيطه والتفاعلُ معه. لقد منحنا الربُ الإله نعمةَ النطق لنتكلَّمَ مع الآخرين، لنتبادلَ الحديث معهم، لنعبّرَ لهم عن آلامنا وأفراحنا ولنسمعَ بَوْحَهم وشكواهم. لكنَّ المؤسفَ أنّ إنسانَ هذا العصر أصبحَ يعيشُ مع نفسه أكثرَ مما يعيشُ مع غيره، مكتفياً بما تقدّمه له التكنولوجيا الحديثة من وسائل إتصال.

عندما اختُرع التلفزيون في القرن الماضي فرح الجميع، لكننا أدركنا بعد حين أن التلفزيون أبعدَ أفرادَ الأسرة عن بعضهم، كما أبعدَ البشرَ عن بعضهم، فعوض اجتماعِ العائلة لتبادلِ أطراف الحديث، أصبح التلفزيون محطَ الأنظار والإهتمام، إن لم نقل أصبح كلُ فرد من أفراد العائلة يشاهد برنامجه المفضل على شاشته الخاصة. أما الزيارات التي كان يقوم بها الأهل والجيران لأحبائهم، والتحلّق حول فنجان قهوة أو شاي، فقد أصبحت موسمية

أيضاً. هذا يُعلنه أيوب الذي صار معروفاً بسبب مصائبه أكثر من أعماله الباهرة.

لذا، عندما ترى إنساناً بارًّا يعمل أعمالاً صالحة وإنجازات كبيرة يُجرَّب بالمصائب التي لا تحصى فلا تستغرب. وعندما ترى إنساناً آخر يعمل إحسانات وأعمالاً أخرى كثيرة بقوّة لذلك يرميه الشيطان في التجارب. قد تسأل: «وكيف سمح الله بمثل هذا؟» هذا لكي يكلّل البار أكثر ولكي يعاقب الشيطان بقسوة أكبر. شيء عظيم طبعاً، أن يعمل أحدٌ البرّ ويجاهد بغيرة من أجل الفضيلة، عندما تأتيه كلّ الأشياء إيجابية، لكن الأعظم بكثير هو أن يجاهد بغيرة متّقدة من دون أن يتزعزع عندما تواجهه المصائب. لذلك، فالخاطئ الذي إن لم يصبه أيّ سوء في الحياة الحاضرة، سيلقى عقاباً أشدّ في الحياة الأخرى، أمّا البار إذا تحمّل هنا عذابات كثيرة فإنّه سيحصل هناك على شرف وغبطة أكبر. فضلاً عن ذلك، تعرف أنّ الجميع، أبراراً وخطأة، إن لم يحتملوا برضىً التجارب التي تأتيهم من الله، بل يحزنون ويغتاظون، لم يحصدوا أيّ منفعة من ذلك التأديب المنجّي وسيقعون في مصائب رهيبة أيضاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أو في المناسبات.

في أيامنا ومع تطور التكنولوجيا ازداد الأمرُ سوءاً، وأصبح الفردُ وإن كان في مجلس يضم العديدين، يختلي بهاتفه، متجاهلاً مَن هم حوله. الإنترنت وكل وسائل التواصل التي يسمونها إجتماعية أبعدت الإنسانَ عن عائلته وعن التواصل معها كما أبعدته عن الرفاق، وأصبح التواصل يتم عبر الآلة وبلغة غريبة لا تمت إلى لغتنا بصلة.

أين العواطف من كل هذا؟ وكيف يعبَّر عنها بواسطة الآلة؟

التكنولوجيا مهمة إذا استخدمناها لخيرنا، وكلُّ الإختراعات الحديثة مهمةٌ إذا استُعملت باعتدال، ولغايات حميدة. أما أن تُبعِدَ التكنولوجيا الشاب أو الشابة عن الأهل وعن المجتمع وعن التواصل اللغوي الذي اعتدناه، فهذا سوف يسيء إلى الإنسان ويجعله شيئاً فشيئاً مخلوقاً غيرَ إجتماعي، لا يتكلّم ولا يُعبّر عن عواطفه ولا يتفاعل مع غيره وربما لا يُحسن التصرّف معهم لأنه اعتاد أن يتواصل مع الغير بواسطة الآلة.

أيها الطلاب الأحباء، أردت التركيز على هذا الموضوع لأقول لكم أن الإنسان، مهما تقدّم ومهما ابتكر، يبقى بحاجة إلى الإنسان الآخر، يبقى بحاجة إلى أمّ وأب يحبّانه ويقودانه في مسيرته نحو العلم فالعمل فتأسيس العائلة. يبقى بحاجة إلى إخوة وأخوات يتشارك معهم الأوقات الحلوة والمرّة التي تمرّ بها العائلة، ويكونون له سنداً متيناً. يبقى بحاجة إلى رفاق يتدرّب معهم، على مقاعد الدراسة، على العلم والمعرفة، ويلعب معهم ويلهو وتتفتح شخصياتهم وتنمو طاقاتهم. يبقى بحاجة إلى أصدقاء يمضي معهم أوقاتاً حلوة تحفر في القلب ذكرياتٍ لا تُنسى.

فيما تتخرّجون اليوم من المدرسة، أوصيكم أن تحافظوا أولاً على إنسانيتكم ولا تُستعبَدوا لآلة. أكملوا دراستكم وكافحوا لتصلوا إلى مبتغى قلوبكم. كونوا صادقين في ما تقومون به، أمناء لمجتمعكم ولوطنكم، وشاكرين لربكم على كل ما أعطاكم. وفي الوقت المناسب ألّفوا عائلة متحابة متكاتفة، يحافظ أفرادُها على القيم والفضائل والعادات الحسنة التي نشأنا عليها، ويكونون أعمدة متينة يرتكز عليها وطننا لبنان.

دعائي أن يحفظكم الرب الإله مع والديكم ومعلّميكم، وأن يؤازركم في خطواتكم المقبلة نحو الجامعة، كي تنهوا دراساتكم العالية مزوَّدين مع العلم ما يفيدكم للعمل، العمل الذي يُبعد التهاون والهوان من حياتكم، لتكونوا عناصر فعّالة في استقرار وطنكم ونموّه وازدهاره.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb